جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

منهج الشيخ محمد حسين فضل الله
- رحمه الله تعالى - (ت ٢٠١٠م)
في تفسيره: "من وحي القرآن"

إعداد الدكتوره

حسنيه عبد الله حويج
جامعة البلقاء التطبيقية - كلية الأميرة عالية -

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الرابع والثلاثون، لعام ١٤٣٥- ١٤٣٦هـ/٢٠١٤ - ٢٠١٥م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٥/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

ملخـــص

اجتهدت في هذا البحث لبيان منهج الشيخ محمد حسين فضل – (~) تعالى – في تفسيره "من وحي القرآن" وسلكت في ذلك منهج الاستقراء ثم جعلت ما توصلت إليه في مبحثين: خصصت **المبحث الأول** لبيان مقدمة التفسير ومصادره والحديث عن أسلوب المفسر ومنهج العرض، ثم بيان منهج المؤلف العقدي، والفقهي، وموقفه من بعض قضايا علوم القرآن، وبعض اتجاهات التفسير مثل التفسير العلمي، ومنهج المؤلف في قبول الحديث، ومدى عنايته بالقضايا اللغوية.

أما المبحث الثاني: فخصصته لبيان موقف المؤلف من بعض المستجدات، مثل وحدة المسلمين، وموقف الإسلام من غير المسلمين، وعمل المرأة في المجال السياسي ... الخ.

وفي **الخاتمة** ذكرت أهم مزايا هذا التفسير ومثالبه التي استطعت الوقوف عليها، وخرجت بنتيجة مفادها أن هذا التفسير له وعليه، لكنه في مجمله من أحسن وأمتع التفاسير المعاصرة أسلوباً وعلماً ومعالجة للقضايا المعاصرة، مع موضوعية في طرحها، متحليا مؤلفه بأدب جم مع المخالفين في الرأي، هذا بالإضافة إلى الطاقة الروحية التي أضفاها الشيخ على تفسيره، (~) و جزاه كل خير وجعله في ميزان حسناته.

Abstract

This research aims to clarify Mohammad Hussien Fadel approach in his interpretation of Quran titled *"Men Wahi Al Quran". –-The Inspiration of Quran-* I followed the inductive approach. I summarized what I have concluded in two chapters. The first one was about the interpretation introduction, resources, the interpreter style and method of presentation. In addition, I explained the author's doctrine and points of view regarding some of the Quranic issues and interpretation methods such as the scientific method as well as the author's method of Hadith acceptance and his care of linguistic issues.

Chapter two was dedicated to clarify the author's opinions regarding current issues such as Muslims unity, Islam and non- Muslims, women participation in politics, etc.

In the conclusion, I mentioned the most important merits of this interpretation. I concluded that it is one of the best modern interpretations of Quran because of its style, approach of handling current issues, objectivity of the author, the author's respect of those who opposed his views and the spiritual power of the author.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله، أئمة الخير، وسبل الهداية، و حملة النور، وأسّ الرسال، وبعد:

فقد شرَّفني الله (ﷻ) ومنَّ عليّ بالدخول إلى ميدان التفسير، وإنها لرحاب واسعة، ودروب طويلة، لا يتسنى السير فيها إلا بمدد من صاحب الفضل والمنة، وإذ قد بدأنا تجوالنا في هذا العلم، حيث انتهى علماؤنا – جزاهم الله كل خير– فإننا لن نستطيع السير في كل السبل، ولا الوقوف على كل غصن، فبعضها متطاولة، وأخرى ممتدة، لكنها نظرات، وإطلالات، تخيرت منها التوقف عند واحدة من ثمارها، تلك هي التي تفضل الله بها (ﷻ) على الشيخ محمد حسين فضل الله– بهذا الإبداع الذي سماه "من وحي القرآن الكريم"، ثم من علي – سبحانه– بنظرات في هذا التفسير، حاولت من خلالها التعرف على منهج المؤلف، واتجاهه في هذا التفسير، وقمت بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين تحت كل مبحث مطالب:

الأول: خصصته لبعض القضايا المعهودة في مناهج المفسرين وهي التعريف بهذا التفسير وبيان منهجه واتجاهه.

الثاني: ضمنته أهم المستجدات، التي برزت في هذا العصر، ورأي المؤلف فيها.

وقد سلكت في الكشف عن ذلك منهجين:

أولهما: التعبير عن آراء المؤلف بأسلوبي الخاص، ومحاولة اختصار عبارته ما أمكن.

ثانيهما: نقل كلامه بحرفيته، كي يقف القارئ بنفسه على أسلوبه في التعبير. وكنت أضع ما أنقله بحرفيته بين قوسين، أما ما اختصرته من عبارته، فأشير إلى

مكانه من التفسير.

وإنني في محاولتي هذه للتعرف على ذاك التفسير، والتعريف به، لأقر بأن مجرد التجوال القصير لا يكفي لإعطاء صورة كاملة عن هذا العمل الضخم، رغم ذلك حاولت جاهدة أن أسدد وأقارب، ولا أكون شاهدة زور فيما أسجل من ملحوظات، بل قمت بالتدليل على كل دعوى، وإنني أرجو الله أن أكون قد وفقت، وإلا فلكل مجتهد نصيب، والله الهادي إلى سواء السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الأول: منهج الشيخ محمد حسين فضل الله واتجاهه في تفسيره "من وحي القرآن" ويتألف هذا المبحث من ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مقدمة تفسير من وحي القرآن ومصادره.

المطلب الثاني: أسلوب المفسر ومنهج العرض

المطلب الثالث: منهجه العقدي

المطلب الرابع: منهجه الفقهي

المطلب الخامس: قضايا علوم القرآن

المطلب السادس: التفسير العلمي

المطلب السابع: منهج المؤلف في قبول الحديث

المطلب الثامن: موقفه من اللغة

المبحث الثاني: الشيخ محمد حسين فضل الله وموقفه من بعض المستجدات، ويتألف من ستة مطالب:

المطلب الأول: الحكم بما أنزل الله.

المطلب الثاني: وحدة المسلمين.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من غير المسلمين.

المطلب الرابع: عمل المرأة في المجال السياسي.

المطلب الخامس: العمليات الاستشهادية.

المطلب السادس: حكم الربا.

المبحث الأول

منهج الشيخ محمد حسين فضل الله واتجاهه في تفسيره "من وحي القرآن"

ويقع في ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مقدمة تفسير من وحي القرآن ومصادره.

يقع "تفسير من وحي القرآن" في أربعة وعشرين مجلداً، بالإضافة إلى مجلد كبير يحتوي على فهارس تفصيلية للموضوعات التي تناولها، مرتبة حسب الحروف الهجائية.

قدم له مؤلفه بمقدمة ذكر فيها أن هذا التفسير كان في الأصل دروساً قرآنية القيت على مجموعة من طلبة العلم وأنه لا يدعي شيئاً جديداً فيه انما بعض الاستنتاجات والاستيحاءات ويرجو أن تحقق بعضاً من جدة العرض والأسلوب، وبعضاً من حركة التفسير في الواقع المعاصر(١).

ويقدم للطبعة الثانية – التي اعتمدها هذا البحث– بمقدمة أوسع وأشمل، يطرح فيها عدة أسئلة، حول أسلوب القرآن، أهو كتاب مستغلق اللغة والمفاهيم بحيث يحتاج إلى أهل خبرة واختصاص لجلاء معانيه، أم هو كتاب موضوع للناس كافة، بحيث يرى فيه العامة مآربهم، والعلماء تطلعاتهم. وبالتالي ما هي قصة المحكم والمتشابه، والظاهر والباطن؟ وكيف ينطلق القرآن في حديثه عن أشخاص معينين؟ أهو بمعنى القصر؟ أم بمعنى النموذج الأمثل؟ ويقول إن هذه الأسئلة قد توقف عندها الكثيرون في حركة التفسير، حتى خيل لبعضهم أن القرآن كتاب رمزي لا يعلمه إلا الفئة التي جعل الله لها الميزة في فهم وحيه، فأنكروا

(١) تفسير من وحي القرآن ١/٢٣-٢٧.

حجية ظواهره إلا بالرجوع إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأثار بعضهم قضية تعدد المعاني للكلمة الواحدة، وبنى آخرون من الروايات أن القرآن في مجمل آياته، حديث عن أهل البيت بطريقة إيجابية، وعن أعدائهم بطريقة سلبية، ثم يقول: {وهكذا كان التصور العام للقرآن، خاضعا للأجواء الخاصة التي تبعد به عن أن يكون الكتاب المبين الذي أنزله الله على الناس ليكون حجة عليهم}(١) ثم يرى من الضروري تجلية هذه المسألة –أعني– عربية القرآن الكريم، ويستشهد بعدة آيات في الموضوع ليستنطقها في ذلك.

ويرى أن مسألة حجية ظواهر القرآن من القضايا البينة الواضحة التي أجمع عليها العلماء من خلال حجية الظواهر كلها ومن هنا فإن المتشابه في القرآن إنما يعني الكلام الذي يحتمل أكثر من وجه في مدلوله، أو التي تختلف فيه الإيحاءات، ولكنه لا يعني الرمز بأي حال. ويستشهد بما ورد عن بعض أئمة أهل البيت –رضوان الله عليهم – جواباً عن سؤال أثاره بعضهم فيما إذا كان المقصود بالصلاة والزكاة ونحوهما رجال معيّنون قائلا: {إن الله لا يخاطب عباده بما لا يفهمون}(٢).

ثم يتابع حديثه عن مسألة الظاهر والباطن في القرآن، وما أثير حولها من جدل ويذكر الرأي القائل بأن في القرآن شيئاً للعامة وشيئاً للخاصة، على مستوى المعنى، ويرد عليهم قائلا: {ولكن القرآن يتحدث عن الناس كلهم، عندما يتحدث عن الآيات التي يبينها لهم، "لعلهم يتذكرون"، و"يتفكرون"، ويعقلون"، فلا يختص بجماعة دون جماعة، مما يفرض أن الفكرة الظاهرة من القرآن هي الفكرة التي يريد الله للناس أن يتحملوها، ويتحركوا في تفاصيلها الفكرية والعملية، مع اختلافهم

(١) تفسير من وحي القرآن ٦/١.
(٢) السابق ٩/١.

في طبيعة المستوى الذهني في استيعاب خصائصها، كغيرها من الكلمات العربية البليغة التي يختلف الناس في فهم مداليلها تبعاً لاختلاف ثقافاتهم(١).

ويذكر منهجه في قبول الحديث، بأنه التأكد من صحة السند والمتن ولكن بالطريقة التي تتجاوز الشروط المعروفة في حجية الأخبار، في عملية الاستنباط الاجتهادي للأحكام الشرعية}(٢).

أما القضايا المتصلة بتفاصيل العقيدة، وبمفردات الوجود، أو بالخصوصية التفسيرية للقرآن فهي بحاجة إلى القطع أو ما يقترب من القطع، لأن الخلل فيها – كما يقول–: يؤدي إلى الخلل في الصورة التي نقدمها للإسلام، ويرى أن إهمال هذا الجانب هو الذي أوقعنا في فوضى المفاهيم المتنوعة المتصلة بالكثير من القضايا العقدية في تفاصيلها، وقضايا الكون والحياة، من خلال الأحاديث الكثيرة التي لم تخضع لتقويم علمي في صحتها وضعفها في قاعدتها العامة، ويؤكد في هذا الجانب على الأحاديث الواردة في قضايا التفسير بشكل دقيق(٣).

وعن علاقة السنة بالقرآن في الجانب التشريعي يقول، إن عناوينه هي الأساس في وعي السنة في عناوينها التي تمثل التفصيل للعناوين القرآنية، فتكون هي الأساس في حركة التشريع في الدراسة الفقهية، وليس العكس(٤).

ويرى أن مسألة التفسير تخضع لثقافة المفسر في وعيه للقضايا التي تحدث بها القرآن(٥).

ويذكر أنه قد أعاد النظر في هذه الطبعة –بينها وبين الأولى ما يقارب

---

(١) انظر تفسير من وحي القرآن /٩.

(٢) السابق ١١/١.

(٣) ١١/١.

(٤) ١٩/١.

(٥) ١٩/١.

العشرين عاماً– ببعض أبحاثه مبدياً بعض الملاحظات حولها، ومناقشاً بعض الأفكار الواردة في بعض الدراسات التفسيرية والفكرية، ولا سيّما فيما ورد في تفسير الميزان للعلامة الطبطبائي (~) ويصف هذا التفسير بأنه من أحسن التفاسير الحديثة ثراء وتنوعاً فكرياً وتفسيرياً، لذا فقد حاول –كما يقول(١)– درس بعض أبحاثه درساً نقدياً بناء على مستوى أسلوب التفسير أو مواد الفكر. وذكر أنه وصل في هذه الزيادات إلى أوائل سورة الأعراف(٢).

أما أهم مصادره التي استعطت حصرها، فهي كما يلي:

مجمع البيان / الطبرسي، الميزان / للطبطبائي، الكشاف / للزمخشري، البيان في تفسير القرآن / للخوئي، بحار الأنوار / للمجلسي، مفردات القرآن / للراغب الأصفهاني، الملل والنحل / للشهرستاني، في ظلال القرآن / سيد قطب، الدر المنثور / السيوطي، وسائل الشيعة / الحر العاملي، أسباب النزول / الواحدي، الكاشف / محمد جواد مغنيه، جامع البيان / الطبري، الكافي / الكليني، الصحيحين / البخاري ومسلم، التفسير الكبير / الرازي، معاني القرآن / الزجّاج، نهج البلاغة / الإمام علي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيرازي، بعض الأناجيل مثل إنجيل لوقا ومتى.

المطلب الثاني: في أسلوب المفسر ومنهج العرض:

يبدأ بمدخل عام يبين فيه موضوع السورة، وسبب تسميتها، ثم يقسِّم الآيات إلى فصول ويبدأ بتفسيرها ذاكراً معاني المفردات اللغوية بإيجاز وربما ذكر الأصل اللغوي لها، كما يذكر أسباب النزول –إن وجدت– ثم يأخذ بذكر عناوين مفصلة مبيناً ما أثير حول النص من خلاف أو جدل، ثم يذكر استيحاءاته من النص

(١) انظر تفسير من وحي القرآن ٢٠/١.

(٢) ٢٠/١.

والتوظيف العملي له في الحياة الحاضرة والمستقبلة، وعلاقتها بالقضايا المعاصرة، لذا نجد كثرة التفريعات، والعناوين الجانبية. من أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره لسورة الفاتحة. وفيما يلي ذكر لهذه العناوين:

مدخل عام، ذكر الله، بين الارتباط بالله والثقة بالنفس، البسملة في إطار المنهج التربوي الإسلامي، الوجود مظهر الرحمة الإلهية، المفسرون والفرق بين الرحمن والرحيم، موقع البسملة في القرآن، لماذا الحمد لله وحده، الله هو المربي، التآزر والتآخي بين مفردات الوجود، مفهوم العبادة، مقياس التوحيد، التوحيد والشرك في الجانب التطبيقي، الحوار المطلوب، بين عبادة الأصنام واحترام الأولياء، ضرورة التوازن، الدوافع الروحية للعبادة، ثمرات عملية، التوحيد في الاستعانة بالله، التوحيد والحاجة إلى الناس، لا واسطة بين العبد وربه، الشفاعة لا الواسطة، إيحاءات الدعاء ودوره التربوي، طريق الأنبياء، مستحقوا النعم، الثقافة المتحركة، مواقع الفاتحة من الصلاة، دور الصلاة.

يمتاز أسلوبه بالجمع بين المنطق والأدب والسهولة والدقة، والنقد الموضوعي حتى مع المخالفين له في الرأي، لكنه لا يقصر نقده على المخالفين بل إن معظم نقده قد وجهه لصاحب تفسير الميزان وسأترك الشواهد على ذلك لحين الحديث عن الايجابيات، ويسلك في هذا التفسير منهجي التفسير الموضوعي والتحليلي، حيث لا يترك مناسبة للحديث عن قضية معينة إلا ويجمع الآيات المتعلقة بها ويوضحها.

ومن السمات الواضحة في هذا التفسير انتشار الجو الروحاني فيه، و هذه السمة واضحة في تفسير اظلال ولعلَّ هذه الناحية من أبرز أوجه الشبه بين التفسيرين، أنظر مثلاً تفسيره لسورة القدر(١)، كذلك ما ذكره من إيحاءات سورة

(١) انظر تفسير من وحي القرآن ٣٥٤/٢٤.

الكوثر عند حديثه عن الصلاة(١), هذا بالإضافة إلى نواحي شبه أخرى بين التفسيرين، منها الناحية الحركية الدعوية، والتركيز على الأمور العملية، ومواضع العبرة، وإهمال التفصيلات التي لا طائل تحتها، اقتداء بمنهج القرآن في ذلك.

وللشيخ فضل الله شخصيته المستقلة وأسلوبه الخاص حتى عندما يقرر رأياً، أو يتبنى فكرة أي أنه لا يلجأ إلى النقل الحرفي إلا نادراً، وكثيراً ما يلخص أقوال الصحابة، أو المفسرين، أو الفقهاء في مسألة ما ليخلص إلى نتيجة يبين فيها رأيه النهائي مدعماً بالأدلة القوية الواضحة، أنظر في ذلك رده لسبب النزول في سورة المائدة آية (٣–٤)، وتفنيده للقصة المروية في هذا السبب(٢).

المطلب الثالث: في منهجه العقدي:

يذهب إلى التأويل في آيات الصفات ويتضح منهجه في ذلك من تركيزه على الجانب البلاغي في اللغة العربية، حيث ينتقد قصر هذه الكلمات –الدالة على الصفات– على الجانب اللغوي؛ ذلك أن الجانب البلاغي في اللغة العربية يتسع في مرونته التعبيرية –كما يقول– ليشمل الحقيقة والمجاز، والكناية، ويستشهد بما درج عليه القرآن في توضيح الصورة للناس بطريقة الحوار، لأنها أقرب الوسائل في الإيضاح، ويمثل لذلك بقوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) } [فصلت]** وخير شاهد لذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: **{وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [البقرة: ١١٧] حيث قال: {وقد جاء المفسرون ليناقشوا الوجه في تفسير قوله تعالى: **وَإِذَا قَضَى أَمْرًا**". وذلك من منطلق القاعدة الفلسفية التي تمنع من

(١) انظر تفسير من وحي القرآن ٤٤٨/٢٤.

(٢) ٣٤/٨–٣٥.

مخاطبة المعدوم، فكيف يخاطب الله الشيء قبل وجوده ليطلب منه أن يوجد؟! فقال بعضهم: إنه بمنزلة التمثيل، وقال بعض آخر: إنه رمز بين الله وبين الملائكة للدلالة على أن هناك شيئاً جديداً، وقال آخرون: إن المعدوم لما كان معلوماً عند الله صار كالموجود(١) ثم يرد عليهم بما سبق ذكره من أن إثارة المشكلة في وعي هؤلاء ينطلق من محاولة تفسير القرآن في كلماته تفسيراً حرفياُ يستنطق الكلمة من خلال معناها اللغوي، دون ملاحظة الجانب البلاغي(٢)؛ لذلك نجده يطيل النفس عند الحديث عن المحكم والمتشابه في سورة آل عمران، ويخلص إلى أن: {الآيات المحكمة هي التي تمثل الوضوح في اللفظ والمعنى، بحيث لا تدع مجالاً للشك والاحتمال، والآيات المتشابهة التي تمثل نوعاً من أنواع الغموض فيما يمكن أن تحمل عليه ألفاظها لأنها تحتمل بعض المعاني الواردة على خلاف ما وضعت له لغة .. وأن أصحاب القلوب الزائغة يجدون متسعاً كما هو شأن كل صاحب فكرة أو عقيدة فإنه يحاول أن يجر الآخرين إليه من خلال الاستفادة من بعض الكلمات التي تسمح بالتفسير الفضفاض الذي يقف الإنسان معه عند حد معين واضح لتضليلهم عن الحق باسم آيات الحق، وهذا هو الذي أوجب الاختلاف في المذاهب الإسلامية في الجبر والتفويض، والتجسيم ورؤية الله، وغيرها من المفاهيم التي أوقعت مجالاً للنزاع بين المسلمين، فحاول كل فريق أن يستفيد من بعض الآيات القرآنية التي قد تفسر على هذا النحو و ذاك فيما لا يلائم اللفظ من تفسيره وهذا ما عبر عنه الإمام علي (ﷺ) في بعض كلامه: "لا

(١) ١٨٧/٢، وانظر تفسير الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، (ت ٦٠٦هـ). التفسير الكبير /٢٥-٢٧ الطبعة الثالثة ١٩٩٩ دار احياء التراث العربي، حيث فصّل هذه المسألة تفصيلا.

(٢) ١٨٧/٢ الحاشية.

تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه"}(١).

و بناء على ذلك فقد أوّل "الاستواء" بالسيطرة والاستيلاء، والعرش كناية عن الكون كله في عالم الوجود الذي يمثل الملك المطلق لله في كل شيء موجود، ويدلل على ذلك بالاستعمال اللغوي والقرآني، حيث يقول: {إن القرآن انطلق في أسلوبه الفني من القمة البلاغية التي تعتمد على الاستعارة والكناية كما تعتمد على الحقيقة حسب الحاجة الفنية للتعبير}(٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}** [المائدة: ٦٤]: يذكر عدة معان لليد في اللغة ثم يقول: {والظاهر أنها تستعمل بأجمعها في اليد العادية ولكن على نحو الكناية للتعبير عن المعاني الأخرى المذكورة من خلال أن اليد هي آلة العطاء، والقدرة ومظهر الملك، والتولي للأشياء، وليست من قبيل المعاني الحقيقية}(٣).

على رغم ذهابه إلى التأويل نجده يتوقف أحياناً ليفوض العلم إلى مراد الله – تعالى– من ذلك مثلاً موقفه من الأحرف المقطعة في أوائل السور، حيث يذكر عدة وجوه في المعنى المراد منها، وذلك في أوائل سورة البقرة، ثم يذكر ما يتلاءم من هذه الوجوه مع العقل، ويفند بإيجاز سبب عدم قبول الأوجه الأخرى، ويميل

---

(١) ٢١٩/٥.

(٢) ١٤٠/١٠–١٤١، وانظر ٣١٣/٢١. ذكر الراغب:أبو القاسم، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، في مفردات القرآن ٢٥١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي طبعة١٩٦١م: أن الإستواء يقال على وجهين، أحدهما: يسند إليه فاعلان فصاعدا ويكون بمعنى التساوي، والثاني: بمعنى اعتدال الشيء في ذاته، ومتى عدي بعلى أفاد معنى الإستيلاء.

(٣) ٢٤٨/٨.

إلى عدِّ هذه الأحرف مما استأثر الله بعلمه(١).

والذي أراه فيما يتعلق بهذه الأحرف أنها وجه من الإعجاز لم نصل إليه بعد، حيث إن لهذه الأحرف علاقة بمضامين السور التي ذكرت فيها، وربما لهذا السبب ذهب بعض المفسرين إلى القول: إنها أسماء لتلك السور, منهم الزمخشري، حيث جعله أحد الأوجه وقال: "إن عليه إطباق الأكثر"(٢).

ويبدو لي – والله أعلم– إن الشيخ فضل الله لم يكن معتزلياً، أو على الأقل نجده يرد على المعتزلة أحياناً في بعض معتقداتهم، من ذلك مثلاً قوله: {إن العباد لا يستحقون على الله شيئاً، – أي شيء– لأنهم مخلوقون مملوكون له ولكنهم استحقوا ذلك بوعده، ولطفه، ورحمته، فهو استحقاق بالوعد وتفضل له بالذات}(٣).

ولا يترك مناسبة إلا ويرد فيها على الغلاة الكفرة، من ذلك مثلاً عند حديثه عن كفر النصارى، الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ..** } [المائدة: ١٧] حيث يبين أن أبحاث العقيدة قد أكدت على صفات الله (ﷻ) كمنطلق للتوحيد الخالص، ومناقشة الغلاة الذين يعتقدون بربوبية بعض البشر، كمن يعتقد بربوبية عليّ (عليه السلام) واعتبرتهم كفرة تماماً كمن يعتقد بإلوهية الأصنام(٤).

المطلب الرابع: في منهجه الفقهي:

السمة البارزة في طريقة عرضه للمسائل الفقهية تقوم على الاختصار، حيث يذكر المسألة، وأوجه الخلاف فيها – إن وجد– ثم يستعرض الأدلة بإيجاز، محيلا

(١) انظر ١٠٣/١.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) دار المعرفة / بيروت، ٨٣/١.

(٣) ١٤/٢.

(٤) ٩٩/٨.

على كتب الفقه للتفصيل في المسألة، ويلجأ إلى دعم رأيه بالأدلة العقلية غالباً حتى في تفنيده للأدلة الشرعية، وهذا المنهج ينسحب على معظم المسائل التي طرحها(١).

من مزايا هذا المنهج كذلك، عدم التعصب في المسائل الخلافية، حتى مع أتباع مذهبه. من ذلك مثلاً حكم زواج الكتابيات، المحرم عند الشيعة(٢) في حين أجازه الشيخ فضل الله(٣).

ومن مزاياه استيحاء القواعد الفقهية من الجو العام للآيات الكريمة، من أمثلة ذلك تحريم كل ما كان ضرره أكثر من نفعه، حتى لو لم يرد فيه نص، وبناء تلك القاعدة حكم بتحريم التدخين بعد تفسيره لقوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}** [البقرة: ٢١٩]، وبعد مناقشة طويلة مع صاحب الميزان, وبيان لترتيب الآيات الواردة في ذلك وتوضيحها، وتفريع أكثر من عنوان عليها، من مثل قوله: القرآن والتصدي لقضايا الواقع، طريقة القرآن في إثارة القضايا. القرآن والموازنة بين الايجابيات والسلبيات، موقف الإسلام من الخمر والميسر، الآية في خط الدعوة والتربية. وعلل ذاك الحكم؛ بأن التدخين قد ثبت علمياً، أن ضرره أكثر من نفعه(٤).

وقد يثير قضية معينه ويضعها على بساط البحث، داعياً إلى مناقشتها من

---

(١) انظر شواهد ذلك في: ٦٤/٨، ٢٣/٤-٢٤، ١١٦/٧-١١٧، ١٢٤/٧-١٢٧.

(٢) الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٣٨ هـ)، مجمع البيان٢٥١/٣ دار المعرفة، طبعة أولى ١٩٨٦، وذكر ابن عاشور: أن من علماء الإسلام من كره تزوج الكتابية وهو قول مالك في رواية عنه، محمد الطاهر(ت ١٩٧٣م) التحرير والتنوير٣٤٢/٢، مؤسسة التاريخ العربي/بيروت،طبعة أولى ٢٠٠٠م.

(٣) أنظر تفسير الآية ٥ من سورة المائدة ٥٧/٨-٥٨.

(٤) ٢٢٧/٤.

أجل الوصول إلى نتائج. من ذلك مثلاً تحديد مفهوم: "أولي الأمر" المراد من قوله تعالى:" **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء: ٥٩](١).

المطلب الخامس: بعض قضايا علوم القرآن وموقفه منها:

أولاً: النسخ:

لا يوافق على نسخ التلاوة مع نسخ الحكم أو نسخها مع بقاء الحكم، لأن ذلك يؤدي إلى الالتزام بتحريف القرآن ونقصانه، -كما يقول- ولأنه لم يثبت إلا بخبر الواحد الذي لا يثبت به النسخ على ما هو رأي الجمهور المحققين، مما هو مذكور في محله. أما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة فيرى أنه ممكن في ذاته، ولكن هناك كلاماً بين العلماء في وقوعه في القرآن وعدمه(٢).

وعلى ذلك فهو يحاول جاهداً ترجيح الإحكام على النسخ في معظم الآيات التي تكلم العلماء على نسخها،(٣) وهذا موقف يحمد له خصوصاً إذا قوبل موقفه ذاك بالاتجاه المغرم بالقول بالنسخ، حتى فيما يعدُّ من قبيل التخصيص أو الاستثناء.

وهو في ترجيحه للإحكام على النسخ، قوي الحجة بنوعيها: النقلي، والعقلي، من ذلك مثلاً، ترجيحه لإحكام آية الوصية، في قوله تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا**

---

(١) انظر ٣٢١/٧-٣٢٦.

(٢) انظر ١٥٧/١. دعا إستاذنا الدكتور فضل عباس (ﷺ) ذوي الشأن من العلماء أن يولوا هذه القضية أعني ما ورد في بعض الصحاح من روايات تدل على نسخ الحكم والتلاوة معا أهتماما حيث إنها تفتح بابا للزاعمين بتحريف القرآن، أنظركتابه إتقان البرهان في علوم القرآن٥٩/٢الطبعة الأولى١٩٩٧ دار الفرقان/عمان.

(٣) انظر على سبيل المثال ٦٩/٢، ١٠٠/٧.

حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ}(١٨٠) حيث يذكر خلاف العلماء في نسخها، ويرجح عدم النسخ، لأن آية الإرث – كما يقول– قد رتبت على عدم الوصية، الأمر الذي يجعلها مؤكدة لشرعية الوصية بدرجه متقدمه، فكيف يمكن أن تتضمن إلغاءها، ونسخها الذي يتوقف على أن يكون الناسخ منافياً للمنسوخ في دلالته؟! ثم يذكر أن النسخ يفرض تأخر الآية الناسخة عن المنسوخة، ولم يثبت ذلك بدرجه قطعيه، لأن الخبر الدال على ذلك من أخبار الآحاد التي لا تفيد علماً، مع أن النسخ يحتاج إلى دليل قطعي. ويضيف أنه لا يمكن أن تكون ناسخه للوصية للأقربين، لأنهم لا يرثون مع الولد ليكون الإرث بديلاً عن الوصية، أما عن الرواية التي تفيد النسخ فيردها –نقلاً عن أستاذه الخوئي– لأنه لم تثبت صحتها –كما يقول(١)–، ولأن البخاري ومسلم لم يرضياها وقد تكلم في تفسير المنار(٢) على سندها وكذلك فهي معارضة بالروايات المستفيضة عن أهل البيت الدالة على جواز الوصية للوارث، ثم إنها لو ثبت فلا تفيد النسخ، لأنها لا تنافي الآية في مدلولها، وإنما تفيد تقييد الإطلاق فتخصص بالوالدين إذا لم يستحقا الإرث لمانع، أو بمن لا يرث من الأقربين. لأن خبر الواحد لا يصلح أن يكون ناسخاً للقرآن بإجماع المسلمين(٣). ثم يذكر ما يفيده لفظ الكتب من معنى الإلزام في أصله اللغوي، وأن التحول عن ذلك لا يكون إلا بدليل، وهو هنا إجماع المسلمين على عدم

---

(١) ١٠/٤.

(٢) رضا : محمد رشيد (ت١٩٣٥م)، تفسير المنار ١١٠/٢، دار الكتب العلمية / بيروت، طبعة أولى ١٩٩٩، ورأي الشيخ فضل الله في هذه المسألة فريب من رأي صاحب المنار.

(٣) ١٠/٤–١١، وفي دعوى إجماع المسلمين على عدم جواز النسخ بخبر الواحد نظر، بدليل القول بنسخ هذه الآية عند بعضهم. أنظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الإتقان ٢٩/٢، دار المعرفة/بيروت.

الوجوب([1]).

ومن ذلك أيضا آية الصيام: {**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**} [البقرة: ١٨٤] حيث يرجح إحكامها، ويرد على المرجحين للنسخ، قائلاً: {وقد ذهب بعضهم إلى أن هذه الفقرة تدل على الرخصة، على أساس تخيير الله للقادرين، بين الصوم وبين الإفطار، ودفع الفدية،ثم نسخت بقوله تعالى: {**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**} [البقرة: ١٨٥] ولكن ذلك مردود بدراسة الآيات التي تدل على وحدة الفرض والسياق، ولا يحتاج ذلك إلا إلى ذوق سليم، وحس مرهف}([2]). ويوجه الآية الكريمة: {**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**} قائلاً: {الظاهر منها –بقرينة السياق– هو أنها خطاب للذين يجهدهم القضاء، فتباح لهم الفدية لإعلامهم بأن الفدية وإن كانت جائزة، إلا أن الصوم خير لهم إن كانوا يعلمون لما فيه من النتائج الروحية والعملية، وهناك احتمال بأن الفقرة وارده في الحديث عن الصوم بأنه خير للناس في ذاته، بحسب فلسفة الصوم في تشريعه من حيث المنافع الكثيرة العائدة إلى الناس ..}([3]).

و هذا رأي وجيه كما يبدو لي؛ حيث لم يذكر القائلون بنسخ الآية دليلا قويا على أن الأمر كان على التخيير عند نزولها.

ثانياً: أسباب النزول:

لا يثق الشيخ فضل الله في معظم أسباب النزول التي أوردها في تفسيره وهو حق يحمد له حيث إن معظم ما ورد من هذه الأسباب بحاجة إلى إعادة دراسة وتحقيق – وعلى ذلك نجده يذكر السبب ويعلِّق عليه –غالباً– بقوله: "إن صحت

---

(١) ١٠/٤–١١، كذلك في دعواه عدم وجوب الوصية نظر؛ حيث قال بوجوبها بعض علماء السلف، انظر تفسير المنار ١١٣/٢.

(٢) ٢٥/٤.

(٣) ٤٦/٤.

الرواية"، أو يذكر أنها من قبيل التفسير في بعض الماصدق، أو بقوله: "ونلاحظ على هذه الرواية الارتباك في المضمون"، وكثيراً ما يفنّد هذا الارتباك بطريقة عقلية من أمثلة ذلك ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ}** [المائدة: ٤] حيث قال: {جاء في أسباب النزول –للواحدي(١)– بسنده عن أبي رافع قال: أمرني رسول الله (ﷺ) بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله ما أُحلّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فأنزل الله – تعالى–: هذه الآية، وهي: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ}** ثم ذكر الرواية ومفادها أن الرسول (ﷺ) أمر بقتل جميع الكلاب حتى أن امرأة استأذنت في بقاء كلب يحرسها فلم يأذن لها(٢). ويعلق على هذه الرواية بقوله: {ونلاحظ على هذه الرواية الارتباك في المضمون، فإن القضية المطروحة هي أن جبريل لم يدخل بيت رسول الله لأنه لا يدخل بيتاً فيه صوره أو كلب، ولم تتحدث الرواية عن وجود كلب في داره، بل تحدثت عن وجود جرو في بعض بيوتهم، أي بيوت المسلمين، مما لا علاقة له بعدم دخول جبريل إلى بيت النبي (ﷺ). ثم ما المناسبة بين عدم دخول جبريل إلى البيت وقتل كل كلاب المدينة من دون تفريق بين كلب الهراش، وكلب الصيد، وكلب الحراسة؟ وهل إن وجود الكلاب من حيث المبدأ مرفوض عند الله، بحيث كان وجودها مفسده يقتضي الأمر بقتلها جميعاً؟ إذاً لماذا خلقها الله إذا كانت الشر كله؟ ثم إن الرواية لم تذكر أن الله قد أوحى إليه بذلك، مما قد يستفيد منه البعض بأنه ردّ فعل لعدم دخول جبريل عليه، كما لو كانت القضية انتقاماً منها، وذلك لا يتناسب مع روحية النبي وإنسانيته ورفقه بالحيوان، لا سيما إذا لاحظنا صدور الأمر بقتل الكلب الحارس لتلك المرأة

(١) الواحدي: أبو الحسن، علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، أسباب النزول٢٢٢، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الثالثة١٩٨٧م، مؤسسة علوم القرآن/دمشق.

(٢) ٨/٣٣-٣٥.

الضعيفة التي تقول الرواية إنَّ أبا رافع رحمها، ولم يرحمها النبي (ﷺ). وهناك ملاحظه في نهاية الرواية، فإن المسلمين لما ضجوا من قتل الكلاب، سألوه ماذا أُحلّ لهم من الكلاب؟ فلم يجبهم النبي (ﷺ) انتظاراَ لأمر ربه، في الوقت الذي كانت مبادرته بقتلها –حسب الرواية– بدون انتظار لأمره حتى نزلت الآية. ولو دققنا في سياق الآية في مفرداتها التي تدل على أن السؤال عن تحديد ما أُحلَّ لهم بشكل مطلق –من كل شيء يتصل بحياتهم لأمن الكلاب– لوجدنا عدم تناسب بين القضية وهذا السياق، مما يجعلنا نستقرب كون القضية موضوعه جملة وتفصيلاً، لأنها لا تتناسب مع المقام القدسي للنبي (ﷺ) في روحه وإنسانيته، وعدم انفعاله بأية حالة نفسية، أو ردّ فعل ذاتي، بل إن انطلاقه من أمر الله: {**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى(٤)**} [النجم](١).

وانظر تعليقه على حادثة مجيء الرسول (ﷺ) إلى بني النضير لطلب المعونة في عقل أصابه(٢)، ورده لسبب النزول في الآية ٥٢ من سورة الحج(٣).

المناسبات:

لم أجد للشيخ فيما اطلعت عليه اهتماماً بذكر المناسبات بين السور وكذلك بدا لي أنه يرى عدم ضرورة وجود ترابط بين الآيات في السورة الواحدة، فعند حديثه عن "العقود" في سورة المائدة، وعلاقتها ببهيمة الأنعام، يثير موضوع الترابط، ويقول إنه لا يريد أن يدخل في تفاصيل الحديث بإثباته، أو نفيه لكنه يسجل ملاحظة في ذلك مفادها: أن الآيات لم تنزل لتعالج موضوعاً واحداً على طريقة الأبحاث العلمية، بل نزلت تثير أمام الإنسان جوانب متعددة يتعلق بعضها بتصوراته وقناعاته، وبعضها الآخر بأفعاله وعلاقاته منطلقاً من العام إلى الخاص

(١) ٨/٣٣-٣٥.
(٢) ٨/٨١.
(٣) ١٦/٩٤.

في الحديث –كما يقول– وقد يتحدث عن الخاص ثم يعقبه بالعام، وقد لا يكون هناك ترابط موضوعي بين الحديثين إلا فيما يتصل ببناء الجوانب الإنسانية على الصورة التي يريدها الله للإنسان، ثم يذكر الفرق بين البحث العلمي والحديث القرآني(١).

القراءات:

لم يتعرض لذكر القراءات إلا نادراً، من ذلك مثلاً ترجيحه لقراءة النصب على الجر في قوله تعالى: {**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** } [النساء: ١]، ذلك أن قراءة النصب أفصح –نقل ذلك عن الطبري–، كذلك هي أكثر تناسقاً مع أدب القرآن، –نقل ذلك عن صاحب الميزان(٢)–.

المطلب السادس: التفسير العلمي:

عند حديثه عن الظواهر الكونية نجده يدعو إلى الاستفادة من الثوابت العلمية، ويؤكد على وجوب الابتعاد عن الظنيات التي يحاول بعضهم التسرع في إقحامها في تفسير الآيات الكونية، من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: {**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)**} [الطارق] حيث قال بعد شرحه لهذه الآيات بالحقائق العلمية الثابتة: {ولو أراد الإنسان أن يرسم مخططاً لهذا التكوين الهائل، في طبيعة عناصر هذا الوجود الإنساني وخصائصه، لاحتاج إلى جهود ضخمة من العلماء

---

(١) ١٨/٨–١٩، و المناسبة على ما قال البقاعي هي: أن من أعظم العقود ما قُدم تحريمه في البقرة: (إلا ما يتلى عليكم)، البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم (ت٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٨٥/٢ طبعة ثانية ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية/بيروت.

(٢) ٣٣/٧، وانظر ابن الجوزي: أبو الخير، محمد بن محمد(ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر ١٨٦/٢ الطبعة الثانية ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية/بيروت.

والمتخصصين، وعشرات من السنين، ولن يستطيعوا أن يبلغوا كل الأسرار التي ينفتح منها الإنسان ففي كل اكتشاف علمي سرٌّ جديد، ويبقى للروح سرها، وللعقل تعقيداته، وللذاكرة عواقبها، مما قد يتعب الفكر، فلا يستطيع استيعابها بشكل مطلق}([1]) ثم يرد شبهة مفادها أن الاكتشافات العلمية لا توافق أن يكون نشوء هذا الماء الدافق من الصلب في الرجل والترائب في المرأة لأن هناك من ينكر وجود منيّ للمرأة([2]).

كذلك لا يدخل الشيخ في تفاصيل الحديث عن النواحي العلمية غالباً، وإنما يكتفي ببيان أن هذه الآيات تظهر قدرة الله وعلمه، مما يدعو الناس إلى التفكير والبحث والاستقراء في تفاصيل الظواهر الكونية في الأرض والسماء للحصول على المعرفة الواعية –كما يقول([3])– التي تعمق نظرة الإنسان إليها.

وأحياناً ينقل عن بعض التفاسير شرحاً لقانون علمي أو توضيحاً لبعض الظواهر الطبيعية، من ذلك مثلاً ما نقله عن تفسير الميزان وعن الظلال في بيان خصائص الشمس والقمر وموقعهما وعن طبيعة اللؤلؤ والمرجان([4]).

مع أن منهج الشيخ الاختصار في شرح النواحي العلمية إلا أنه لا يسكت عند تعرضه للنظريات الزائفة، من ذلك مثلاً رده لنظرية دارون عند حديثه عن أصل النوع الإنساني حيث ردَّ هذه النظرية من الوجهة الشرعية والموضوعية

---

(١) ١٨٣/٢٤.

(٢) ١٨٤/٢٤.

(٣) ١٨٣/٢٤.

(٤) انظر ١٤٦/١٩-١٥٠، ٣٠٤/٢١-٣١٢ ، والطبطبائي: محمد حسين(ت ١٩٨١م) الميزان في تفسير القرآن ١٠٠/١٩، مؤسسة الأعلى للمطبوعات/ بيروت ، طبعة ثانية ١٩٧٤م، وقطب: سيد إبراهيم(ت١٩٦٦م) في ظلال القرآن ٣٤٥٣/٦ الطبعة ١٢، دار العلم للطباعة والنشر/جدة.

العلمية، في جانب من جوانبها المتعلقة بهذه النقطة، وذلك أن التفسير ليس المجال الطبيعي لمناقشتها كما يقول(١).

وكذلك يرد بعض النظريات الاجتماعية، ففي قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)}** [سبأ] يرد على من حاول تفسيرها بفكرة العقل الجمعي عند "جوستاف لويون"(٢) ثم يقول: {.. ولهذا لا نوافق بأي وجه من الوجوه على المنهج الذي يحاول الكثيرون من كتابنا الإسلاميين أن ينهجوه في تفسير القرآن بالنظريات العلمية والاجتماعية، والنفسية وغيرها}(٣).

المطلب السابع: منهج المؤلف في قبول الحديث:

للشيخ منهج متميز في قبول الحديث، بحيث لا يقبل إلا ما كان منطبقاً مع المفاهيم العامة للقرآن، وإلا فيرده حتى لو كان سليماً من حيث السند، لذلك فهو يوجه النقد إلى مضمون الرواية قبل سندها ويفندها من الناحية العقلية، حيث من

---

(١) ص٧/٣٠-٣١، وانظر ٥/١٧٤.

(٢) جوستاف لويون: (١٨٤١-١٩٣١) كاتب فرنسي وباحث في علوم النفس والاجتماع، ترجمت معظم أعماله إلى العربية، خصوصاً تلك التي أشادت بفضل الحضارة العربية على الحضارة الأوروبية، عرف عن لوبان أنه كان متعصباً للعنصرية وله اتجاهات مضادة للديمقراطية، اشتهر بكتابه: (الحشد) الذي يرد فيه مشكلة سيكولوجية الجماعة إلى مشكلة سلوكيات الأفراد تحت تأثير نوع خاص من الدوافع ويخلص إلى أن السلوك الذي ينتجه الحشد يتميز بخواص جديدة ومختلفة عن تلك التي يتميز بها سلوك الأفراد الذين يتكون منهم الحشد، إذ يختفي في حالة الحشد، شعور الفرد بذاته، ومن هنا يتكون ما يسميه العقل الجمعي، الذي يتألف من رغبات لا شعورية كالتعصب والانفعال وغير ذلك. من الشبكة العنكبوتية.

(٣) ١٩/٦٩-٧٠.

المقررات في أصول الفقه عنده، أن مضمون الرواية من حيث اتفاقها مع الآيات القرآنية مرجّح أقوى من صحة سندها، لذلك فهو يدعو إلى عدم الاقتصار على الأساليب الأصولية التقليدية، في طريقة البحث والمقارنة، بل لا بدَّ إلى جانب ذلك من المقارنة بين النصوص في دلالاتها الفكرية، خصوصاً مسألة العرض على القرآن للتعرف على ملائمة المفهوم الحديث في مضمونه الفكري مع المفهوم القرآني في دلالاته،، من خلال الأصول الدقيقة للبحث العلمي –كما(١) يقول– خصوصاً مع تعرض التراث لكثير من الموضوعات والإسرائيليات. وعلى ذلك نجده يرد الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت أحياناً – لعدم صحة الإسناد والمضمون، وذلك بعد مناقشة المضمون(٢).

وقد يتوقف عند آية طويلة ليذكر كل ما جاء في تفسيرها وما أثير من جدل حولها ويفنّد، ويردّ، ويحلّل الروايات بنقد سندها ومتنها، والقراءات فيها ليخلص إلى نتيجة مقبولة، موافقة للمفاهيم العامة للقرآن، من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** [آل عمران: ١١٠] حيث ذكر الروايات الواردة في تفسيرها، وتعدد الأقوال في المراد من "الأمة" في الآية ثم جمع بين تلك الروايات بأن عدّها من قبيل التطبيقات في مصداق هذه الجماعة حيث قال: {ومن الطبيعي أن يكون مصداقها منطبقاً على الصحابة المجاهدين وعلى الأئمة الطيبين من أهل البيت كما هي منطبقة على المسلمين السائرين في خط الإيمان بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون التفسير الوارد في هذه المصاديق تفسيراً بالمصداق أو المصداق النموذجي الأعلى، تفسيراً بالخصوصية المعينة في هذه

(١) ٢٢٣/١، ٢١٦/٤، ٣٢٦/٧.

(٢) انظر حاشية التفسير ١٨/٣.

الفئة أو تلك لأن الصفات المتأخرة المذكورة في "تأمرون بالمعروف " .." تشمل المسلمين كلهم}([1])، ثم يطرح سؤالاً أثير عند الشيعة حول تحريف هذه الآية ويذكر بعض الروايات في ذلك ويفندها من حيث السند، والمتن، واللغة، والقراءة، ويرد على المستشرق "جولد تسيهر"([2]) اتهامه الشيعة بالقول بالتحريف قائلاً: {.. مع ملاحظة مهمة، وهي أن الشيعة لم يعترفوا بهذه الروايات، ولم يلتزموها في المصاحف التي كتبوها، لأنهم –بأجمعهم– لا يرون صحة نسبة التحريف إلى القرآن، بل يرون أنه هو القرآن الموجود بين الدفتين الذي يتداوله المسلمون من دون أية زيادة أو نقصان ..}([3]).

وقد يرد الرواية –على رغم صحة سندها– لأنها لا تقبل من الناحية العقلية بسبب منافاتها لمقام النبوة السامي –كما يقول– من ذلك رده لرواية حادثة الإفك بشأن السيدة عائشة (رضي الله عنها) وذلك لأنها تسيء إلى الشخصية الرسالية التي يتميز بها النبي (ﷺ) لجهة الانطباعات السلبية عن الناس، لا سيما الأقربين إليه قبل التأكد من تحقق الأسس الشرعية التي تثبت عناصر الاتهام، فكيف يتصرف بهذه الطريقة السلبية مع عائشة طيلة هذه المدة، وكيف يتصرف معها بهذا الأسلوب القاسي الذي يرهق نفسيتها، ويوحي بأن ما نسب إليها هو الحق؟([4]).

---

(١) ٦/٢١٤–٢١٥.

(٢) إجناس جولد تسيهر :مستشرق يهودي مجري (ت١٩٢١م) يعد من مؤسسي الدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا شكك بالحديث النبوي، من أخطر كتبه، كتاب مذاهب التفسير الإسلامي.

(٣) ٦/٢١٦–٢١٧.

(٤) من وحي القرآن ١٦/٢٥٢ ولسنا معه في هذا لأن كون الحادثة وردت في القرآن الكريم وفي السنة فما يكون لنا أن نحكم العقل فبها رفضا لها.

المطلب الثامن: اللغة:

يعتني بذكر معاني المفردات القرآنية، بل يبحث أحياناً في الأصل اللغوي لها، ويستشهد على تلك المعاني بالآيات القرآنية والشعر(١). ويتوسع في مدلول اللفظ ليشمل كل ما يدل عليه، ويرى أن المعنى لا يتجمد عند اللفظ فهو ليس مدلولاً لغوياً فحسب، بل إيحاء عميق ممتد في رحاب الحياة، يتسع ويشمل كل ما يتصل به من أجواء ومواقف وأشياء. (انظر مثلاً تفسيره لقوله تعالى: **{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}** [البقرة: ٣](٢).

وكثيراً ما يركز على الجانب البلاغي في اللغة العربية من أجل الاستفادة من التوسع في مدلول اللفظ ليشمل الحقيقة والمجاز والكناية، خصوصاً عند تفسيره لآيات الصفات(٣).

وقد يوجه النقد لنكتة بلاغية، ذكرها المفسرون، قائلاً: {وهذه ملاحظة طريفة، ولكننا لا نتصور أن هذه النكتة ملحوظة في الآية}(٤) ثم يفسر سبب هذا النقد.

وأحياناً يذكر أن الكلمة وردت في القرآن في صيغة معينة، فقط من أجل التفنن في التعبير(٥). وهذا بخلاف ما نعلم من منهج القرآن أنه لا يفضّل لفظة على أخرى، فقط من أجل التفنن في التعبير، بل لا بدَّ أن يكون المعنى مقصوداً أولاً.

يشير إلى اللفتات البيانية اللطيفة في القرآن، من ذلك مثلاً ما ذكره من اختلاف التعبير بالجمع عن أصحاب الجنة والمفرد عن أصحاب النار في قوله

---

(١) ١/١٢٥، ١/٢١٤.
(٢) ١/١١٨-١١٩، ١/١٧٧.
(٣) انظر ٢/١٨٧.
(٤) انظر ٨/٢٤٦.
(٥) ٦/٤٧.

تعالى: {**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ(١٤)**} [النساء] حيث يقول: {فلعلَّ الأساس فيه أن أهل الجنة ينعمون بنعيمها مجتمعين، بينما أهل النار مشغولون بأنفسهم عن غيرهم...}([1])

(١) ٢٤/٤٢٦.

المبحث الثاني
في بيان موقف المؤلف من بعض المستجدات

المطلب الأول: الحكم بما أنزل الله:

عند تفسيره لقوله تعالى: {**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" إلى قوله تعالى:" أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**} المائدة: ٤٤:٥٠}. يقول: {في هذه الآيات حديث تفصيلي عن الرسالات الثلاث، التي أرسل الله بها أنبياءه موسى وعيسى ومحمد – صلوات الله وسلامه عليهم– تأكيد على أن كل واحدة منها هي خط الحق الذي رسمه الله لعباده، وشرعة العدل التي أقامها للحياة، من أجل أن ينفتح الناس على الحلول الواقعية العادلة لمشاكلهم التي يتخبطون فيها، فهي الصورة الحية المشرقة لحكم الله الذي يريد الله للناس أن يحكموا به فيما يتنازعون فيه من قضايا وأعمال، فليس لهم أن يتجاوزوه إلى غيره، استجابة لأي ضغط داخلي أو خارجي، لأن مصلحتهم في الحياة الدنيا من جهة، وعبوديتهم المطلقة لله من جهة أخرى، تفرض عليهم الالتزام الدقيق به على كل حال، واعتبر الانحراف عنه وعدم الحكم به كفراً وفسقاً وظلماً. وحذّر الأنبياء –في عملية إيحائية بخطورة القضية– من أن يخضعوا للضغوط التي يمارسها الآخرون عليهم، لينحرفوا بهم عن الخط المستقيم في إقامة حكم الله بين الناس، وأمرهم بأن يعرضوا عن كل من أعرض عن حكم الله، لأن الله هو الذي يتكفل بحسابهم في الدنيا والآخرة}(١). ويؤكد في جانب آخر على أن ظلم الحاكم أشد خطورة من ظلم المحكوم، بل هو الذي يجر إلى انتشار الظلم في المجتمع من خلال ترك معاقبة

---

(١) ١٨٦/٨.

المعتدي الذي يتحرك بحرية دون خوف من عقاب(١). ثم يحدد مفهوم الجاهلية من خلال الآثار الواردة في ذلك قائلاً: {ونستفيد من ذلك أن الجاهلية ليست مرحلة زمنية تتمثل في شرائعها، وعاداتها وتقاليدها وأحكامها بل هي نهج في الخط الفكري الذي يتحرك في كل قضاياه وأوضاعه بعيداً عن الله بحيث لا يستهدي الله في ذلك، ولا يخضع لرسالاته ورسله، بل ينطلق في تشريعاته وأحكامه من العوامل الذاتية، ومن المواقع السلطوية التي تفرض نفسها على الناس بالقوة من دون أن تملك أية شرعية في مواقعها وتحركاتها.

وعلى ضوء ذلك، فإن النظرة الإسلامية تؤكد على أن أي حكم في المجال التشريعي أو القضائي لا ينسجم مع حكم الله هو حكم الجاهلية، ولو كان صادراً في العصر الحاضر، فإن كلمة الجاهلية تتحول – من خلال هذه النظرة– إلى ذهنيه ماديه متحركة مع الواقع المادي في الحياة في الاتجاه الذي لا يجد للدين أي دور في أحكامه وقضاياه، تماماً كما لو لم يكن موجوداً في حياة الناس.

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في مورد آخر في تعبير آخر وهو حكم الطاغوت، وذلك قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا**} [النساء: ٦٠] وفي ضوء ذلك يمكن لنا أن نواجه كل الواقع التشريعي الوضعي الذي يتحرك في بلاد المسلمين في خط العلمانية لنعتبره داخلاً في حكم الجاهلية أو حكم الطاغوت، وخارجاً عن حكم الله وعن ولايته، وهذا ما ينبغي للمسلمين أن يحذروا منه، وأن يلتفوا إلى الموقف الذي يجب أن يأخذوه ويلتزموه في رفضهم وتأييدهم، لا سيما في المشاركة في المجالس النيابية بتأييد الذين يعيشون ذهنية الجاهلية في أحكامها وقوانينها لا ذهنية

(١) انظر ١٩٢/٨.

الإسلام.}([1]).

المطلب الثاني: وحدة المسلمين ورأي المؤلف فيها:

يحدد الشيخ الأساس الذي يجب أن تبنى عليه الوحدة بين المسلمين وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**} [آل عمران: ١٠٣] حيث يقول: {في هذه الآية يتابع القرآن تأكيد الأساس الذي تنطلق منه الوحدة في أسلوب إيحائي يربط الهدف بالقاعدة في مسار لا يترك مجالاً للانحراف أو الضلال... ثم في توجيه المجتمع المؤمن إلى أن يدخل في عملية مقارنة بين الماضي وبين الحاضر، فقد كان الماضي يحمل في داخله الحقد والعداوة والبغضاء، بينما يتحرك الحاضر على أساس المحبة والألفة والأخوة.. وكأن ذلك الواقع المظلم خاضعاً لممارسات تقف به على مشارف النار، فأنقذه الله منها برحمته في ما أنزله من وحي، وما أطلقه من مفاهيم، وما وجهه من تعاليم.

وقد ورد أن "بحبل الله "كناية عن كتاب الله الذي هو حبل ممدود من السماء إلى الأرض، مما يجعل من الدعوة إلى الاستمساك به انطلاقة للاعتصام بالإسلام كأساس للوحدة بعيداً عن كل الجهات الأخرى من عائلية وإقليمية وقومية، وفي ضوء ذلك نعرف أن وحدة المجتمع في الإسلام ليست مطلباً فارغاً من المضمون، كما يفعله المندفعون مع الشعارات التي تلتقي مع أي مضمون، لأن القضية تتخذ لنفسها صفة الإطار الذي يعيش مع أية صورة، أما الإسلام فهو الإطار والصورة معاً،فلا مجال معه لأي طرح آخر خارج حدود إطاره الطبيعي ..}([2])

وينبه باستمرار على ضرورة تلمس الركائز التي تقوم عليها الوحدة والابتعاد عن الاستغراق في الخلافات الطائفية المشبعة بالحقد والضغينة ومختلف عوامل

---

(١) ٢٠٧/٨.

(٢) ١٩١/٦.

الإثارة...ويؤكد على أن مفهوم الاعتصام يعني اعتبار الكتاب أساساً للوحدة في المبادئ المتفق عليها، وكذلك في أسلوب الوصول إلى الوفاق في المبادئ المختلف عليها. ويرى أن السبب في ما وصل إليه المسلمون من تناحر واختلاف وتفرّق، هو أنهم انطلقوا من موقع العقد الذاتية التي تتحكم بأعصابهم وانفعالاتهم، ولم ينطلقوا في مواجهة خلافاتهم من موقع الحوار الإسلامي على هدى القرآن وطريقه(١) ...

ويؤكد في موقع آخر أن الآية تدعو الجميع أن يعيشوا روح الارتباط بها من ناحية عملية لا من ناحية فكرية مجرّدة، لأن الاقتصار على الجانب الفكري الذاتي –كما يقول(٢)– لا يوحي بوحدة الحركة أو الموقف في كثير من الحالات، بل يبقى مجرد حالة فكرية توحي بالتعاطف .. ويرى أن هذا الفكر لا بدّ أن يتحول إلى ممارسة ومعاناة تعيش في ساحة الواقع .. في حالة الحرب والسلم، وفي الحياة الفردية والاجتماعية. ثم يطابق بين الآية وواقع المسلمين الحاضر(٣) ..

المطلب الثالث: موقف الإسلام من غير المسلمين:

عند تفسيره لقوله تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .... حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ}** [المائدة: ٥١ – ٥٤] يبين طبيعة العلاقة بين المسلمين واليهود والنصارى ثم يقول: {إن الارتباط السياسي والاقتصادي والديني بالأجانب أمر مرفوض من الإسلام نفسه،

(١) ٦/١٩١–١٩٤.
(٢) ٦/١٩٦.
(٣) ٦/١٩٧–١٩٨.

لأنه قد يعرض المسلمين للوقوع في التهلكة السياسية والاقتصادية والأمنية، ويؤدي بهم إلى فقدان استقلالهم وقدرتهم على تقرير مصيرهم، وهذا نلاحظه في هذه الأيام من تحوّل المسلمين إلى وجود منسي في الواقع السياسي العالمي الذي يقوده المستكبرون في الأرض، فلا يسمحون لهم بحرية الحركة في سياستهم واقتصادهم وأمنهم في قليل أو كثير}(١)، وانظر توجيهه لمعنى كلمة (الولاية) ألمراده من الآية الكريمة(٢).

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ... إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }** [آل عمران: ١١٨ – ١٢١] يبين مفهوم البطانة بأنه عدم السماح لأعداء الاسلام بتسلم أعمال وأدوار تتصل بالقضايا المصيرية للمسلمين حتى لا يطلعوا على الأمور الخفية للواقع الإسلامي فيستغلوا ذلك في الكيد والتآمر على الإسلام والمسلمين ولا يعني هذا عدم التعايش والتعاون في الأمور الأخرى(٣).

كما يشير إلى بعض الشعارات التي يثيرها بعضهم باسم "وحدة الأديان" أو "الوحدة الإنسانية" أو "الوحدة الوطنية أو القومية" والتي يقصد من خلالها أن يحققوا لأنفسهم و لمخططاتهم الفرص الكثيرة التي تتيح لهم القفز على المواقع، لأنهم يملكون في هذه الساحة قوة لا يملكها أهل الحق، ولأنهم يرسمون هنا خطة خفية لا يعرفها الطيبون(٤).

المبحث الرابع: موقفه من عمل المرأة في المجال السياسي:

يؤكد الشيخ (~) على شرعية العمل السياسي والجهاد للمرأة وذلك استيحاء

---

(١) ٨/٢٢٠.

(٢) ٨/٢١٨.

(٣) ٦/٢٣٧.

(٤) ٦/٢٤١، وانظر ٦/٢٦٤ ففيها كلام جيد.

من الآية الكريمة: {**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**} [التوبة: ٧١] حيث يقول: {وقد نستوحي من ذلك دعوة المرأة إلى أن تحمل مسؤولية ذلك كله، في انطلاقتها الحركية في الحياة، وإذا كان المعروف يشمل إقامة العدل، والنهي عن المنكر يشمل هدم الظلم، فإن ذلك يشمل شرعية العمل السياسي والجهادي للمرأة، في ما تحتاجه الأمة من طاقاتها ونشاطاتها، وإن لم يجب عليها العمل المسلح في حالات الحرب، في الأوضاع الطبيعية، وبهذا يؤكد الإسلام نظرته الإنسانية إلى دور المرأة في بناء المجتمع على أساس القاعدة الأمية التي أكدها الله ورسوله في الكتاب والسنة، ويوجه الأمة إلى الاستفادة من دورها في كل المجالات التي تستطيع فيها أن تقدم خدمة اجتماعية أو سياسية أو تربوية أو عسكرية، وعدم الاقتصار على دورها الأنثوي، كأم وكزوجه وكربة بيت، فإننا في الوقت الذي لا نقلل فيه من هذا الدور المهم في حياتنا، وحياة الأمة، فإننا لا نعتبره كل شيء، كما لا تنقص من الأدوار الأخرى الفاعلة على جميع المستويات العامة والخاصة}(١).

المطلب الخامس: العمليات الاستشهادية ورأيه فيها:

ومما يحمد لهذا العلامة (~) رأيه في العمليات الاستشهادية في فلسطين، حيث أشاد بها، وأثنى على المجاهدين، وقاس تلك العمليات على من يقتحم ساحة العدو ليكسر شوكتهم، وعدّها من أعظم الجهاد، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} [البقرة: ١٩٥] فبعد أن ذكر ما عرض للمسلمين في القسطنطينية من

(١) ١٦٣/١١.

الشدة وكيف قام أحد المجاهدين باقتحام صفوف الروم، ثم استنكر بعضهم فعله متعللين بهذه الآية، لكن أبا أيوب الأنصاري (ﷺ) صحح لهم خطأهم في تفسيرها كما نقل الشيخ فضل الله في تفسيره، ثم يرد – جزاه الله كل خير – على المنكرين لهذه العمليات. ويرد على صاحب مجمع البيان(١) توجيهه للآية الكريمة في عدّها مسوغة للصلح مع العدو، وفي جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالة الخوف بناء على تلك الآية، واستشهاده بفعل الرسول –ص– في صلح الحديبية، وفعل الإمام علي (عليه السلام) في موقعة صفين، وموقف الحسن (ﷺ) مع معاوية، وفي تعليله لثورة الحسين (ﷺ) مع معاوية، يرد عليه الشيخ فضل الله في كل ذلك، ويرفض تفسيره للآية الكريمة(٢).

المطلب السادس: حكم الربا في الحياة المعاصرة

الربا كما عرّفه الشيخ فضل الله هو الزيادة والنمو للأشياء، ويراد به هنا –كما يقول(٣)– بيع المتماثلين جنساً وكمية بزيادة في أحدهما، أو إقراض مال بزيادة ماديه عينية، أو معنوية أو حكمية، كإقراض عشرة بعشرة بشرط صياغة خاتم، أو خياطة ثوب، ولكل حكمه المتنوع في تفاصيله في كتب الفقه(٤).

ثم يذكر مضاره الأخلاقية، وسلبياته الاقتصادية، والشبهات التي أثيرت حوله، ويفنِّدها ويرّدها، بأحسن ما يكون من منطق، ويرى أننا لا نستطيع إلغاء الربا مع إبقاء العلاقات الاقتصادية على ما هي عليه، لأننا لا نتحدث عن التحريم على

(١) الطبرسي: مجمع البيان ٥١٦/١.
(٢) ٨٦/٤–٩٣.
(٣) ١٢٦/٥.
(٤) ١٢٦/٥–١٥٠.

أساس الأمر الواقع –كما يقول(١)– بل من موقع العمل على تغيير النظام في قواعده الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، الأمر الذي نعرف فيه الإيجابيات العملية لتحريم الربا في الخطة الإسلامية المتكاملة، ثم يجيب على سؤال محتمل مفاده أن التحريم ينتظر ولادة الدولة الإسلامية، كما هو الحال في التشريعات المنطلقة من مضمون العقيدة الماركسية أو غيرها التي لا يدعو إليها واضعوها إلا في نطاق ولادة النظام الكامل المستند إلى القاعدة الفكرية، ويجيب عن ذلك قائلاً: {إن هناك فرقاً بين النظام الإسلامي في تشريعاته العامة والخاصة، وبين الأنظمة المادية الأخرى، فإن الإسلام قد انطلق من قاعدة بناء شخصية الإنسان الفردية والاجتماعية على أساس الجوانب الفردية والاجتماعية على أساس الجوانب الأخلاقية والروحية، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى المادية، وفي ضوء ذلك، لم يكن الحل الشامل للمشكلة هو كل شيء في حركة التشريع في حياته، بل كانت هناك العناصر الروحية والأخلاقية التي تبني شخصيته لتعزله عن التيار المنحرف في المجتمع، الأمر الذي يجعل التشريع حياً في النطاق الفردي لتحقيق تلك العناصر، وإن لم يتوفر له الحركة في النطاق الاجتماعي. ولذلك رأينا الأحكام الشرعية باقية في مدى الزمن خارج نطاق حكم الإسلام، من أجل بناء الإنسان المسلم على أساس الإسلام في قيمه الروحية والمادية، ولو كان ذلك بشكل جزئي.}(٢).

ويذكر أن المسلم يعيش حياته اليومية بكل ملابساتها في أجواء إسلامية طاهرة، ويتحمل في ذلك الصعوبات النفسية والعملية إرضاء لله تعالى –كما يقول– ثم يضيف: {ولهذا كان الربا محرماً على المسلمين حتى في نطاق النظام الربوي،

---

(١) ١٢٦/٥.

(٢) ١٣٤/٥.

وربما أوقع ذلك المسلمين في مشاكل عملية معقدة، وربما وضعت لهذه المشاكل بعض الحلول الفقهية التي يحصل الإنسان فيها على نتائج الربا من دون أن يقترب من أجوائه وأخلاقه في ما يسمى "بالحيل الشرعية" التي شرعت بوحي الحالات الطارئة الضاغطة التي يراد من خلالها الفرار من الحرام إلى الحلال، ولكن المسلم –كما ألمحنا إلى ذلك– يشعر بالسعادة في هذه المعاناة ما دامت تحقق رضا الله في أموره الخاصة والعامة، وينطلق –بعد ذلك– من خلال وعيه لعمق المشكلة في حياته التي يعيش فيها الازدواجية بين ما تفرضه الشريعة، وما يطلبه القانون، إلى العمل في سبيل إقامة الحكم الإسلامي الشامل الذي يقود الحياة كلها إلى شريعة الله}([1]).

(١) ٥/١٣٥.

الخاتمة: ما له، وما عليه

أخيراً لا بدّ أن نخلص إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث من حيث مزايا هذا التفسير وعيوبه كما يلي:

أولاً: المزايا:

سبق أن ألمحت هذه الدراسة إلى شيء من تلك المزايا في المقدمة، مع تأخير الشواهد ولا بدَّ هنا من إعادة التأكيد على تلك النقاط مدعمة بالشواهد المؤكدة لذلك.

مما يلفت الانتباه، تركيز المؤلف على وجوب التقيد بالمعنى الظاهر للفظ إذا لم توجد قرينة صارفة له عن ذلك، ولعلَّ السبب في شدة تركيزه على هذه الناحية، هو انتشار التفسير الرمزي الذي قصر كثيرا من آيات القرآن على أشخاص معينين، وهذا ما يلاحظ من خلال توجيهه للوم هؤلاء عند كل مناسبة. من الأمثلة على ذلك ما ذكره في معنى كلمة "اهبطوا" في قوله تعالى: **{وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}** [البقرة: ٣٦]،حيث يقول: {"اهبطوا" هل هو الهبوط المكاني المادي من السماء إلى الأرض، أم هو الهبوط المعنوي في المنزلة والمكانة, هو"النعيم"؟ الظاهر من الكلمة (اهبطوا) الجو المادي إلا أن يثبت غيره، ولم يثبت لنا ذلك.}(١).

وفي معنى تسبيح الجبال مع داود (عليه السلام) في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ}** [سبأ: ١٠] يقول: {وقد نستطيع الأخذ بظاهر القرآن – في ما لم يثبت استحالته أو خلافه– فلا نرى أي مانع من أن ترجّع الجبال صدى صوته، والطير نغمات تسبيحه بالطريقة الحسية المادية: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ**

(١) ١/٢٧١.

بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: ٤٤] في ما أبدعه الله في تكوينها، من ذلك في مسار التجربة الخاصة لداود (عليه السلام) على أن هناك آخرين لا يقصدون في التصرف بظاهر القرآن على المورد الذي يتفق فيه الظاهر مع الحقيقة القطعية، حيث يكون الأخذ بالظاهر مرادفاً للأخذ بالمستحيل أو الذي لا يتفق فيه مع الدليل الثابت بشكل مقبول، بل يجدون الاطمئنان العقلي أو النفسي عندما تتوافر الأجواء المحيطة بالموضوع كافياً في الخروج عن الظاهر، منهم في الوقت الذي لا ينكرون فيه أن يكون للجبال وعي التسبيح في ما لا نفهمه منها، أو يكون للطير وعي الانسجام مع داود بطريقة إرادية، لا يجدون المسألة قريبة من الذهنية العامة التي يخاطب فيها القرآن الناس في تصورهم للأشياء من خلال المفردات الحسية الموجودة لديهم، إذ يبدو أن ترجيع الجبال أو تسبيح الطير مع داود على سبيل الاستعارة، تماماً كما يقول الناس إن الكون كله يتحرك معه، أو يسبح معه، ونحو ذلك}([1]).

من السمات الواضحة في هذا التفسير، بروز الاتجاه النقدي بأسلوب موضوعي مهذب، ليس فيه تجريح أو تحيز، حتى في المسائل الخلافية الأساسية بين الفريقين، حيث نجده يدعو إلى التجرد، والخلوص لله في معرفة الحق عن طريق الأدلة وسلوك المنهج العلمي والارتفاع عن مستوى الخلاف، من ذلك مثلاً حديثه عن الولاية، وأهميتها في مستقبل الإسلام، مما يؤكد اعتبارها إكمالاً للدين – في نظره– وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}** [المائدة: ٣]. ثم يعلق على ذلك قائلاً: {وعلى أي حال، فإننا نثير هذه الأفكار انطلاقاً من وعينا لأهمية القيادة في حياة الأمة، ليكون هذا الاتجاه في التفكير، أساساً للبحث من أجل مواجهة الموقف بجدية ومسؤولية من ناحية المبدأ

(١) ٢٣/١٩، وانظر ٤٨/٤.

والمنطق. ويبقى للأدلة والحجج والنصوص الشرعية الدور الأكبر الأساس في الحكم على ما حدث بعيداً عن كل اجتهاد ذاتي، أو انتماء مذهبي، لأن القضية قضية إيمان وعلم، فلا بدَّ للمسلمين من الارتفاع في خلافاتهم إلى هذا المستوى الذي يقودهم إلى الحقيقة الدينية والتاريخية من أقرب طريق، ويعلمهم كيف يمارسون هذا الخلاف بالأسلوب الإسلامي للحوار الذي يعتمد على الإخلاص للحقيقة من خلال الإخلاص لله، ومواجهة المواقف من موقع الفكر العميق المنفتح المتأمل، والله من وراء القصد.}([1]).

ويوجه النقد إلى بعض الشيعة فيما تسرب إليهم من النصارى فيما يتعلق بعقيدة الفداء تكفيراً عن الذنوب، حيث ظن بعضهم أن الحسين (ﷺ) فدى بنفسه ذنوب شيعته وخطاياهم، فبعد أن فنّد هذه الشبهة ورد على النصارى بأقوى الحجج، ذكر تأثر بعض الشيعة بهذا المعتقد، ووجه اللوم إليهم قائلاً: {وبهذه المناسبة نحب أن نشير إلى أن مثل هذه الفكرة – وهي فكرة التكفير عن خطايا الآخرين بالآلام التي يتحملها شخص معين عظيم يقف ليفدي الناس – بذلك– قد انتقلت إلى بعض الأساليب الشائعة في عرض قضية الإمام الحسين في ثورته واستشهاده، فإن بعض القارئين للسيرة يحاولون أن يذكروا أن الحسين فدى بنفسه ذنوب شيعته وخطاياهم، مما يقتضي غفران تلك الذنوب بتضحيته، إما بشكل مباشر كما في التفكير المسيحي، أو بشكل غير مباشر، باعتبار أنه يشفع لهم من خلال هذه الشهادة، إننا نحب أن نسجل ابتعاد هذه الأساليب عن التفكير الإسلامي، وعن الطابع الإسلامي للثورة الحسينيه التي انطلقت من أجل إقامة الحق وإزهاق الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعيداً عن أية حالة

(١) ٤٨/٨.

فداء لذنوب الآخرين، بل هو الفداء، والتضحية للحق وفي سبيل الله}(١).

ومن ذلك توجيهه النقد لأصحاب المدرسة العقلية التوفيقية –كما يسميهم– وعلى رأسهم الإمام محمد عبده أو مدرسة المنار بشكل عام –حيث وجه لهم النقد فيما ذهبوا إليه من تفسيرات مادية من أمثلة ذلك توجيههم للمعجزات النبوية توجيهاً مادياً، حتى أنهم أدعوا أن معجزات المسيح كانت من قبيل الإدعاء على القدرة، فيرد عليهم –بعد أن يذكر شبهتهم– قائلاً: {إن الغيب من أمر الله كما هو الشهود من أمره، والله يحرّك غيبه في مواقع إرادته، كما يحرّك الشهود، لأنه يتساوى لديه عالم الغيب وعالم الحس، ولهذا فلا بدَّ لنا من أن نتقبل المعجزة في عنوانها الغيبي الإلهي بإيمان وتسليم، كما نتقبل الأمور الطبيعية الأخرى. وإذا كان الآخرون لا يقبلون بالتسليم بالأمور الغيبية في الدنيا من خلال المعجزة التي يجريها الله على أيدي رسله، أو الكرامة التي يكرِّم الله بها أولياءه، فيحاولون إنكارها لننطلق إلى إقناعهم بها بطريقة مادية، فكيف يمكن إقناعهم بالغيب في عالم الإلوهية، أو في عالم الآخرة(٢)؟! ثم يذكر أن النص القرآني يؤكد حدوث هذه الأمور من عيسى (عليه السلام)(٣).

ويرد عليهم كذلك في توجيههم لقضية أصحاب الفيل قائلا: {إن المدرسة التوفيقية التي كان يمثلها الشيخ محمد عبده، وتلامذته في منهجها العقلي، يعتمد على محاولة تفسير الظواهر القرآنية الغيبية ببعض الاكتشافات العلمية التي تجعل من الآيات العلمية التي تجعل من الآيات القرآنية الظاهرة تعبيراً مجازياً أو شبه مجازي، ولكن بدون قرينة لفظية أو عقلية، مما يمكن أن يعتمد عليه المتكلم

(١) ٢٧٠/١ (ولمزيد من الأمثلة انظر ٤٤/٨، ٤٢٢/٢٤، ٤٤/٦-٤٥).
(٢) ٢٤/٦-٢٥.
(٣) ٢٤/٦-٢٥.

لصرف اللفظ عن ظاهره، إذا أريد به خلاف الظاهر، وذلك من أجل إعطاء القرآن درجة علمية، تطل على الاكتشافات التي توصّل إليها العلم المعاصر، ليقترب الناس من القرآن كلما اقتربت أفكاره من العقل أو العلم، وذلك من خلال اتصال العالم الإسلامي بالحضارة الغربية القائمة على التفسير المادي للأشياء، حيث لا يرغب الناس بالأشياء الغيبية التي توحي للفكر بما يشبه الخرافة أو الأسطورة، لأن الفكر لا يتقبل الغيب الذي لا يملك أية وسائل طبيعية للإيمان في حركة الحياة من حولنا. وعلى ضوء ذلك، فقد حاول الشيخ محمد عبده أن يفسح المجال للتفسير المادي للطير الذي ألقى الحجارة التي أهلكت الجيش .. ونلاحظ أن بعض ما قاله من احتمال أن تكون الحجارة من الطين المسموم الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل الطيور، فيؤدي إلى تسمم الأجساد التي يدخل فيها، هو من الظواهر غير العادية، لأن حمل الطيور لهذه الحجارة أمر غير مألوف عادة، فلا بدَّ من تدخل الإرادة الإلهية الغيبية التي تخضع الأمور للسنن غير العادية، فتبعد بذلك عن التفسير المادي الذي يرجع الأشياء إلى القوانين الطبيعية، ثم إن الغيب جزء من النظام الديني، فلا بدَّ من تأكيده كمبدأ، في مواجهة الفكر المادي، باعتباره أصلاً عقيدياً في تفسيره للكثير من حقائق العقيدة ومن بعض مفرداتها المتصلة بالنبوة وبالعذاب الإلهي للأمم المتمردة على الرسل والرسالات، مما لا يمنع عنه عقل، ولا يثبت خلافة علم، ولا ينافيه ظاهر لفظ. وبذلك، فإن هذا الاتجاه المادي الذي يعمل على إخضاع الآيات القرآنية للمدرسة العقلية، من أجل إعطاء القرآن بعداً عقلانياً، لا يمكن أن يكون شاملاً، بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى التكلف في حمل الآيات على خلاف ظاهرها..}([1]).

من النواحي التي تحمد للمؤلف أيضاً عدم خوضه في مجادلات كلاميه أو تفاصيل سكت عنها القرآن، بل ينبه دائماً على الالتزام بالنواحي العملية الحركية

(١) ٢٤/٤٢٢-٤٢٣.

من الأمثلة على ذلك ما ذكره من خلاف المفسرين في معنى "الوفاة" في قوله تعالى: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** [آل عمران: ٥٥] ثم اختلافهم في معنى "الرفع" ويرجّح أن يكون بالروح والجسد، ويذكر رأياً في المسألة ينسبه إلى المحدثين من المفسرين مفاده أن الرفع كان عبارة عن الإخفاء عن الأعين بصورة مؤقتة ويقول – بما معناه– إن هذا الحديث مما لا ينبغي أن نفيض فيه كثيراً لأنه قد يدخل في باب الرجم في بعض تفاصيله، وأنه ليس فيه كبير فائدة في ما يتصل باستيحاء القرآن لحياتنا الفكرية والعملية –كما يقول– وأن الله –سبحانه– قادر على كل شيء، وإنه يريد أن يجمل بالتفصيل الذي خاضه المفسرون في ذلك، وأن الفكرة من ذلك أن الله – سبحانه– قد دبَّر بحكمته وبخطته الخفية خلاص عيسى (عليه السلام) من اضطهاد اليهود ومن محاولتهم قتله، أما ماذا فعل وما الخطة؟ فذلك مما اختص الله بعلمه(١).

من مزايا هذا التفسير أيضاً قدرة مؤلفه على استيحاء الآيات القرآنية وربطها بالواقع المعاصر في حياة الناس العملية، مما يعمق إيمان المسلم ويزيد ثقته بصلاحية القرآن الكريم لكل الأزمنة، من الأمثلة على ذلك، حديثه عن منافقي العصر الحاضر وتعاملهم مع اليهود، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [المجادلة: ١٤]، حيث يقول: {وهم اليهود الذين تولاهم هؤلاء المسلمون، فاندمجوا في مخططاتهم، والتزموا بمواقفهم، واعتبروا أنفسهم فريقاً لهم في كل قضايا السلم والحرب ..}(٢).

---

(١) ٦/٤٩٠، وانظر رده لشبهة صلب المسيح (عليه السلام) وتأكيده على وجوب التقيد بمنهج القرآن في الالتزام بالمجمل وعدم الخوض في التفاصيل ٧/٥٣٤-٥٣٥.

(٢) ٢٢/٨٠-٨١.

وعند تفسيره لقوله تعالى: {**أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**} [المجادلة: ٢٢]، يقول: {فإذا كان الإنسان مسلماً وارتبط بخط أعداء الله في المسألة الثقافية والاجتماعية والسياسية، ليقتصر دوره الإسلامي على المسألة العبادية بمعناها الساذج، لتكون النتائج النهائية لأعداء الإسلام، فهو من حزب الشيطان لا من حزب الله، لأن التحزب للشيطان لا يعني الكفر دائماً، بل قد يعني الانتساب إلى الإسلام في جانب، والالتزام بالمواقف الشيطانية في الخط العملي في جانب آخر، كما استوحيناه في ما حدثنا الله به عن المنافقين الذين هم حزب الشيطان الخاسرون..}(١).

وعند تفسيره لسورة "الكافرون" يقول: {إن هذه السورة تمثل المنهج للمسلمين في مواجهة العروض التي تقدم إليهم في ساحة الصراع من أجل إنهاء القطيعة، وإيجاد قاعدة للصلح، مما قد يتعارف الناس على الوصول إليه، بالتسويات العملية التي تعمل على أساس المناصفة، بأن يتنازل هذا الفريق عن بعض مواقعه والتزاماته لمصلحة الفريق الآخر الذي يتنازل له عما لديه بالنسبة نفسها، ليلتقيا في نصف الطريق لمطالبهما، ولعلَّ هذا ما قدمه هؤلاء المشركون للنبي (ﷺ) في ما جاء به من أسباب النزول، الذي أكدَّ على أن يعبد النبي (ﷺ) الأوثان سنة، ليعبد المشركون الله سنه، ليتساويا في الاعتراف المتبادل في وقت خاص. إن السورة تطرح الرفض لهذه الفروض من ناحية المبدأ، لأن المسألة تتعلق بالخط الأساس للدين، وهي مسألة عبادة الله التي تمثل خط التوحيد ومنهجه في العقيدة والحياة...ولعلنا نستطيع التحرك بعيداً عن هذا الموضوع، في القضايا العامة، من سياسية واجتماعية واقتصاديه وثقافيه، لنميز في طروحات الوفاق في هذه الأمور بين القضايا الكبرى المرتبطة بالخط المستقيم وبالمصير النهائي، وبين القضايا

(١) ٢٢/٨٩-٩٠.

الصغرى المرتبطة بالخطوط التفصيلية المتحركة في دائرة الأوضاع المتحركة والمراحل المتغيرة، فلا نقدم التنازل عن القضايا الأولى إلا في ما يتعلق بالأسلوب مما يدخل في دائرة المرونة العملية، بينما ندرس بعض التنازلات في القضايا الأخرى، في ما لا يمس الجوهر، وتلك هي دائرة الواقعية التي يمكن أن يتحرك فيها الإسلاميون، أمام الطروحات التي تقدم إليهم لإنهاء النزاع، أو لإيجاد موقف مشترك مع الآخرين في بعض المراحل السياسية في ما يطلب فيه تجميد الصراع في وقت معين مع بعض الجهات، أو إيجاد حالة من الوفاق السياسي أمام بعض الشعارات أو ما إلى ذلك، مما قد يفيد الحركة الإسلامية في مواقعها السياسية أو الجهادية ولا يغير مرتكزاتها ومسلماتها الأساسية ..}(١).

ونجده يؤكد باستمرار على الدعوة إلى وحدة المسلمين، ونبذ الخلاف وذم الفرقة الطائفية والمذهبية، ووجوب أخذ العبرة من ما حلَّ ببني إسرائيل الإنموذج الحي الذي دمّرته الفرقة، ويدعو إلى التنبه للخطط الاستعمارية التي تتحرك في جو الفرقة، والتأكيد على عدم الانخداع بما يظنه بعضهم دفاعاً عن الحق في حين أنه يقع في خدمة مآرب العدو(٢).

كذلك فإن للشيخ فضل الله قدرة فائقة، وأسلوب مقنع في ردّ الشبهات، حيث نجده يذكر الشبهة مستعرضاً كل ما قيل فيها، ثم يفنّدها ويردّها من جميع الاتجاهات النفسية والمنطقية والاجتماعية بأدلة عقلية شاهدة على سعة علمه، من الأمثلة على ذلك ردّه لشبهة تعدد الزوجات في الإسلام، حيث ذكر تفريعات كثيرة

---

(١) ٢٤/٤٥٧-٤٥٩، وانظر كذلك ١/١٢٨، ٤/٢٢٧-٢٢٨.

(٢) انظر تفصيل ذلك ص: ١/١٢٦-١٣٣، عند تفسيره للآية ٢٠٨ من سورة البقرة، فله هناك كلام جيد يستوحيه من الآية الكريمة، ١/٢٧٤، ٢/١٦، ٢٤/٤٤٨، ٢٤/٣٥٤).

مما أثاره أعداء الإسلام حول هذه المسألة، ثم ردها جميعها بأحسن رد(١).

أخيراً فقد أكثر الشيخ من محاورته لصاحب تفسير الميزان، حيث لم يدع مناسبة إلا ويذكر رأيه، ثم يناقشه ملتزماً المنهج الأساس الذي بدأه بالأسلوب الهادئ والنقد البناء، دون أن يبدي أي إساءة أو حتى يصرح بالمخالفة، بل أبدى إعجابه في هذا التفسير – كما جاء في مقدمته– وكثيراً ما يشير في مخالفته له بقوله: وقد ذهب صاحب الميزان إلى كذا وهو خلاف الظاهر، من أمثلة ذلك، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: **{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ... }** [فاطر: ١٢]، حيث يرى صاحب الميزان أنها تمثيل للمؤمن والكافر بالبحر العذب والمالح، ويرد عليه قائلاً: {ونلاحظ على ما ذكره، أن الظاهر من الآية ورودها في سياق الحديث عن آيات الله الكونية فيما تمثله من دلائل التوحيد وعظمة القدرة، ولا ظهور لها في ما ذكره من خلال المضمون والسياق}(٢). وهناك العديد من الأمثلة الأخرى(٣).

من عيوبه:

حيث إن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، فإن هناك بعض الهفوات في هذا التفسير –رغم كثرة محاسنه– وفيما يلي بعضاً منها:

أثار الشيخ فكرة وجود سلبيات في التشريع، حيث لا يوجد خير محض أو شر محض– كما يقول– فقد يختلط بعض الخير بالشر،أو العكس،وأن التحريم يكون بحسب غلبة الشر على الخير. ويخرج بقاعدة فقهيه عامه – سبق الإشارة إليها– ينبني عليه تحريم كل ما كان ضرره أكبر من نفعه، حتى لو لم يرد فيه

(١) انظر ٤٧/٧–٦٥.

(٢) ٩٦/١٩.

(٣) انظر ٢٢٣/١، ٢٢٤/٤–٢٢٥، ٣٥/١٦.

نص، فعند تفسيره للآية الكريمة: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}** [البقرة: ٢١٩] نجده يذكر مناسبة النزول والروايات الواردة في تفسيرها، وأقوال الفقهاء والمفسرين فيها، والإيحاءات التي يراها هو من خلالها.

والذي أراه أن أسلوب التعبير عن هذه الفكرة أي قوله بوجود سلبيات في التشريع أسلوب غير لائق بل عيب رغم أحقية ما ذكره عن عدم وجود خير مطلق أو شر مطلق إلا في بعض النماذج التي خصها الله – سبحانه– وفي مقدمتها شخص المصطفى – صلى الله عليه وآله– الذي يمثل الخير المطلق في كل معانيه ومن المؤكد أن الشيخ (~) قد استثنى تلك النماذج وإن فاته الإشارة إلى ذلك والله أعلم.

هناك بعض الآراء الغريبة التي تبناها الشيخ فضل الله، منها على سبيل المثال، رأيه في مسألة الشورى، حيث يرى أنها غير ملزمه مع وجود إمام معصوم، وإنما الهدف منها تعليم الأمة، ويستشهد بأحاديث، وآثار تدعم رأيه، ويؤول مشورة يوم بدر التي جاءت من الحبّاب بن المنذر بأنها أسلوب تربوي لتعليم القاعدة كيفية المشورة(١).

وقد يتكلف أحياناً في تأويله للنص كي يوافق معتقده من ذلك مثلاً تأويله لقوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }** [المائدة: ٣]، حيث يرى أنها نزلت في إمامة علي (ﷺ)(٢).

أخيراً يمكن أن نصف هذا التفسير بأنه:{ من الاتجاه غير التقليدي في العصر الحديث، وقد نصنفه تحت المدرسة الوجدانية، وكذلك المدرسة العقلية

---

(١) ٦/٣٤٧-٣٤٨.

(٢) ٨/٤٧.

الاجتماعية، رغم كونه يعارض أصحاب هذا الاتجاه وينتقدهم في كثير من المسائل على الأخص مسألة تفسير المعجزات تفسيراً حسياً، إلا أنه قد ذهب في دراسته للأحاديث مذهباً عقلياً بحيث ردّ كثيراً مما هو في الصحاح لكونه لا يقبل عقلا}(١) وهذا خطأ عظيم، ...

هذا ما استطعت تسجيله من خلال جولتي القصيرة في رحاب" تفسير من وحي القرآن " للشيخ محمد حسين فضل الله، والذي لا يكفي فيه مجرد التجوال، بل لا بدَّ من الوقوف الطويل، والتأمل العميق لتذوق ثماره، لكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، وإني أرفع أكف الضراعة أن يغفر للشيخ وأن يرحمه وأن يدخله، وإنني أوصي كل مسلم حريص على معرفة الحق، غيور على وحدة الأمة الإسلامية ,الرجوع إلى هذا التفسير والنظر فيه مع الحذر مما ورد فيه مصادما لصحيح الدين وصريحه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) سمعت هذا من شيخي، الأستاذ الدكتور فضل عباس – (ﷺ) وأكرم مثواه–.

المصادر والمراجع

١. **البقاعي:** أبو الحسن: إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ)، منشورات محمد علي بيضون، ط الثانية ٢٠٠٣، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢. **ابن الجوزي:** أبو الخير، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر ط الثانية ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية/بيروت.

٣. **الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير ط الثالثة ١٩٩٩م، دار احياء التراث العربي/ بيروت.

٤. **رضا: محمد رشيد** (ت١٩٣٥م)، تفسير القرآن الحكيم، ط ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية/ بيروت.

٥. الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف، دار المعرفة/ بيروت.

٦. **سيد قطب:** هو سيد الحاج قطب بن ابراهيم (ت١٩٦٥م)، في ظلال القرآن، دار العلم/جدة.

٧. **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة/بيروت.

٨. **الطبرسي:** أبو علي الفضل بن الحسن، (ت ٥٣٨ هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط أولى ١٩٨٦م دار المعرفة.

٩. **الطبري:** أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١٩٨٤ دار الفكر.

١٠. **الطبطبائي:** محمد حسين الطبطبائي (ت١٩٨١م)، الميزان في تفسير القرآن، ط ثانية مؤسسة الأعلى للمطبوعات/بيروت.

١١. **محمد عبده:** (ت ١٩٠٥م)، تفسير جزء عم، ط أولى١٩٨٠ دار الشروق/القاهرة.
١٢. **مغنية:** محمد جواد، التفسير الكاشف، ط أولى ١٩٩٠م، دار العلم للملايين/بيروت.
١٣. **الواحدي:** أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، أسباب النزول، ط الثالثة ١٩٨٧م مؤسسة علوم القرآن/دمشق،.
١٤. **الراغب:** أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت٥٠٢ هـ) المفردات، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١.
١٥. **عباس:** د فضل حسن (ت٢٠٠٣م)، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط ١٩٩٧م، دار الفرقان.
١٦. **ابن عاشور:** محمد الطاهر (ت١٩٧٣م)، التحرير والتنوير، ط الأولى٢٠٠٠م، مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخـص	٣
Abstract	٤
مقدمة	٥
المبحث الأول: منهج الشيخ محمد حسين فضل الله واتجاهه في تفسيره "من وحي القرآن"	٨
المطلب الأول: مقدمة تفسير من وحي القرآن ومصادره.	٨
المطلب الثاني: في أسلوب المفسر ومنهج العرض	١١
المطلب الثالث: في منهجه العقدي	١٣
المطلب الرابع: في منهجه الفقهي	١٧
المطلب الخامس: بعض قضايا علوم القرآن وموقفه منها	١٨
المطلب السادس: التفسير العلمي	٢٤
المطلب السابع: منهج المؤلف في قبول الحديث	٢٦
المطلب الثامن: اللغة	٢٨
المبحث الثاني: في بيان موقف المؤلف من بعض المستجدات	٣٠
المطلب الأول: الحكم بما أنزل الله	٣٠
المطلب الثاني: وحدة المسلمين ورأي المؤلف فيها	٣٢
المطلب الثالث: موقف الإسلام من غير المسلمين	٣٣
المبحث الرابع: موقفه من عمل المرأة في المجال السياسي	٣٥
المطلب الخامس: العمليات الاستشهادية ورأيه فيها	٣٥
المطلب السادس: حكم الربا في الحياة المعاصرة	٣٦
الخاتمة	٣٩
المصادر والمراجع	٥٠
فهرس الموضوعات	٥٢